الحوار بين الراعي والمرعي في الفكر الإسلامي

إعداد

الدكتور مسلم بن سالم بن علي الوهيبي

أستاذ العقيدة والفلسفة المشارك

كلية العلوم التطبيقية بنزوى – قسم المتطلبات العامة

وزارة التعليم العالي/ سلطنة عمان

ملخص:

نلحظ في حياتنا الاجتماعية والوظيفية فتوراً في تأدية الواجبات، وضعفاً وتأخيراً في إنجاز المعاملات، الأمر الذي أدى بدوره إلى ظهور السخط والتبرم في أوساط المجتمع.

يعزو البحث هذه الظاهرة إلى ضعف الحوارات الحقيقية بين الراعي والمرعي، ابتداء من الأسرة وانتهاء بالأمة، مروراً بقسم أو دائرة في مؤسسة ما.

فهناك مطالب لدى المرعيين لم تنفذ، قد تكون بمبرراتها غائبة عن مدركات الراعي، وقد تكون ضمن مدركاته إلا أن هناك مجموعة موانع حالت دون تلبيتها، هذه الموانع غائبة عن مدركات المرعيين، ولو حصلت حوارات حقيقية بين الراعي والمرعي لما وجدت جفوة أو تبرم واستياء، وما ينتج عن ذلك من تعطيل مصالح المجتمع.

يهدف البحث الذي بين أيدينا إلى بيان منهجية الفكر الإسلامي في الحوار بين الراعي والمرعي، مستنتجا أهمية الحوار بين الراعي والمرعي من مصادر الفكر الإسلامي، ويهدف أيضاً إلى استنباط مقومات الحوار بخطوات عملية تضمن نجاحه، ثم يصف البحث منهجية التعامل في حال فشل الحوار برؤية الفكر الإسلامي، معتمدا في كل ذلك على المنهج الاستنباطي من القرآن والسنة.

وقد توصل البحث إلى نتائج هامة أبرزها: الفكر الإسلامي رسم أدبيات إجرائية لنجاح الحوار، والفكر الإسلامي أيضاً لا يسمح بالإساءة إلى الآخر فحتى لو فشل الحوار فقد وضع حلولاً أخرى بديلة، والفكر الإسلامي يؤكد أنه إذا نجح الحوار في محيط الأسرة فإنه مهيئ للنجاح فيما هو أعلى من تجمع الأسرة.

الكلمات الدلالية للبحث:

الحوار، الراعي، المرعي، أهمية الحوار بين الراعي والمرعي، أدبيات نجاح الحوار بين الراعي والمرعي.

Abstract

We sometimes realize a sense of laziness in fulfilling our professional and social roles in life. This may lead to delaying or weakening the accomplished tasks. It may also lead to the spread of a general dissatisfaction and discomfort in the society. The researcher relates this phenomenon to the lack/ poor communication between the leader(s) and the people. This includes, but not limited to, the family, the departments, the institutions and the nation-wide level.

The present research aims at stating the methodology of the Islamic ideology in the dialogue between the ruler and the subjects. It points out the importance of the dialogue between the ruler and the subjects from the Islamic ideology resources. It also aims at deriving the dialogue foundations in practical steps that guarantee its success. The paper describes the methodology of treatment if the dialogue fails under Islamic ideology by adopting the derivational methodology from the Holy Quran and the Sunnah.

The research has reached the following conclusion: the Islamic ideology has depicted procedural literature to manage the dialogue. It also doesn't permit to mistreat the others and it has made different solutions when the dialogue fails. The Islamic ideology confirms that the success of the dialogue within the family will lead to its success within bigger societies.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

عن ابن عمر –رضي الله عنهما –عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته[1] (فهذا الحديث يعطينا أهمية هذه الرعاية؛ حيث بدأها بعموم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وختمها بالعموم: (فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)، الراعي في الحديث هو الذي عنده رعية من البشر، أي: المسؤول عنهم وموكل عليهم، ورئيس يرأسهم، فيسمى راعيًا، ويسمى من تحته رعية له، أو مرعيين، والراعي قد يكون أبًا وأسرته رعية، وقد يكون الراعي رئيس قسم في مؤسسة عمل أو مديرًا... إلخ والموظفون والعاملون وعامة الشعب مرعيون وهكذا.

حدود البحث:

تتنوع مجالات الحوار من حيث أطراف الحوار إلى حوار بين: الحضارات أو الديانات أو المذاهب أو الحكومات أو بين الراعي والرعية، كما أن الرعاية للمرعيين لها مجالات كثيرة تكاد لا تحصى، فنحن نتناول في بحثنا هذا فقط جانبًا محددًا من أدبيات هذه الرعاية ألا وهي الحوار بين الراعي والمرعي؛ لذا تضيق حدود هذا البحث في نطاق الحوار بين الراعي والرعية.

أهمية البحث:

إن البحث في قضية الحوار بين الراعي والمرعي يشكل الوسيلة المثلى لفهم الاتجاهات وفض النزاعات بين البشر في التجمع الواحد، تواصلًا وتقريبًا وتعليمًا، والحل للمشكلات وتجاوز العقبات، لما للحوار من تأثير مباشر على حركة الحياة المعاصرة، فقد أضحى الحوار أداة من أدوات التفاهم الرشيد بين المجتمعات الإنسانية، سواء كانت صغيرة كحجم الأسرة

(١) تخرجه: البخاري: النكاح (5200) ، ومسلم: الإمارة (1829) ، والترمذي: الجهاد (1705) ، وأبو داود: الخراج والإمارة والفيء (2928).

أم كبيرة في حجم الأمة.

ومن أبرز سمات الفكر الإسلامي الانفتاح على العالم كله والمناداة بالحوار الهادف تمشيًا مع واقع العصر وعلومه ومعطياته وإمكاناته، من أجل تحقيق مقصود الحياة الإنسانية الكريمة، معترفًا بأن الرأي الآخر واقع إنساني وحقيقة كائنة، وأن التعايش مع وجود الاختلاف مظهر من المظاهر الحضارية.

لكن ما تمر به أسرنا ومؤسساتنا في المنازل ومواقع العمل المختلفة من استعلاء بعض أصحابها على الذرية والعمال هنا وهناك، لما يعزز الحاجة إلى غرس ثقافة الحوار، الذي يثمر التفاهم والتقارب والتعايش.

لذا فمن المناسب طرح موضوع الحوار بين الراعي والمرعي بأسلوب سهل العبارة سهل التطبيق، يرشد ولي أمر الأسرة وولي أمر المؤسسة مهما دنا أو علا.

إشكالية البحث:

نلحظ في حياتنا الاجتماعية والوظيفية فتورًا في تأدية الواجبات، وضعفًا وتأخيرًا في إنجاز المعاملات، الأمر الذي أدى بدوره إلى ظهور السخط والتبرم في أوساط المجتمع.

يعزو البحث هذه الظاهرة إلى ضعف الحوارات الحقيقية بين الراعي والمرعي، ابتداء من الأسرة وانتهاء بالأمة، مرورًا بقسم أو دائرة في مؤسسة ما.

فهناك مطالب لدى المرعيين لم تنفذ، قد تكون بمبرراتها غائبة عن مدركات الراعي، وقد تكون ضمن مدركاته إلا أن هناك مجموعة موانع حالت دون تلبيتها، هذه الموانع غائبة عن مدركات المرعيين، ولو حصلت حوارات حقيقية بين الراعي والمرعي لما وجدت جفوة أو تبرم واستياء، وما ينتج عن ذلك من تعطيل مصالح المجتمع.

أسئلة البحث:

يدور البحث حول سؤال رئيسي مفاده: ما هو منهج الفكر الإسلامي في الحوار بين الراعي والمرعي؟ يتفرع إلى سؤالين هما: ما أهمية الحوار بين الراعي والمرعي في الفكر الإسلامي؟ وما هي أدبيات الفكر الإسلامي في الحوار بين الراعي والمرعي قبل ممارسة الحوار وبعده؟

هدف البحث:

يهدف البحث الذي بين أيدينا إلى الإجابة على سؤال رئيس: ما هو منهج الفكر الإسلامي في الحوار بين الراعي والمرعي؟ يتضمن الإجابة على أسئلة فرعية مثل: ما أهمية الحوار بين الراعي والمرعي في الفكر الإسلامي؟ وما هي أدبيات الحوار العملية التي تضمن نجاحه؟، ثم ما هي رؤية الفكر الإسلامي في حال فشل الحوار بين الراعي والمرعي؟

منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي من أدلة الفكر الإسلامي: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

إجراءات البحث:

سيتم اتباع المنهج التحليلي الاستنباطي من خلال تحليل نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الدالة على منهجية أدبيات الحوار بين الراعي والرعية، وفقًا للمنهجية العلمية المتبعة لتحقيق هدف البحث.

الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الدراسات كمًّا وكيفًا في الحوار بشكل عام، لكن فيما يخص جزئية الحوار بين الراعي والمرعي لم يجد الباحث ما يغني عن استنباط ما قاله الفكر الإسلامي في هذه الجزئية بالذات.

وفيما يلي ستطرح الدراسة أهم الدراسات ذات العلاقة بموضوع البحث، والتي يمكن أن تصنف إلى دراسات تتعلق بالحوار بوصفه موضوعًا عامًا، ودراسات تتعلق بالحوار وتنشئة الأبناء؛ كون هذين الموضوعين الأقرب إلى موضوع البحث، وذلك على النحو الآتي:

١- دراسات تتعلق بالحوار بوصفه موضوعًا عامًا:

١/١ - دراسة: خوجة، محمد شمس الدين (٢٠٠٨م "الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه ".

٢/١ - دراسة: المغامسي، خالد محمد (٢٠٠٥م) "الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية".

٣/١ - دراسة: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني (١٤٢٥هـ) "ثقافة الحوار في المجتمع السعودي-رؤية أعضاء هيئة التدريس في جامعات المملكة العربية السعودية".

٤/١ - دراسة زمزمي، يحيى محمد حسن (٢٠٠٢م) " الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ".

٥/١ - دراسة: القطب، سمير عبد الحميد (٢٠٠٠م) "فلسفة الحوار وتكوين المعلم العربي في مجتمع ما بعد العولمة ".

٦/١ - دراسة: عابد، سناء محمود (٢٠٠٤م) " الحوار في القرآن معالمه وأهدافه".

٧/١ - دراسة: مانيون، جريج (٢٠٠٧م) " الارتباط بالمكان والإنسان: لماذا يجب إعادة صياغة الإطار الحاكم لمشاركات الأطفال والاستماع لهم؟"[١].

٨/١ - دراسة: ماكليود، أليسون (٢٠٠٧م) "قضايا القوة والعلاقات عند الاستماع إلى الأطفال المعالين"[٢].

والكثير من الدراسات من هذا النوع.

٢- دراسات تتعلق بالحوار وتنشئة الأبناء:

١/٢- دراسة: النعيمي، عائشة سعيد الضبع (٢٠٠٥م): "دراسة ميدانية حول أثر

١-Mannion,Greg(2007):Going Spatial, Going Relational: Why " listening to children " and children's Participation needs reframing , studies in the cultural politics of , 28(3), September,pp405 - 420.S

٢- Mcleod, Alison (2007): Whose agenda? Issues of power and relationship when listening to looked - after Young people, child and family social work, (12),pp278 - 286

الحوار بين الآباء والأبناء في تشكيل الشخصية الإيجابية دراسة مطبقة على الطلاب المواطنين بمنطقة (أبوظبي) التعليمية"

٢/٢ – دراسة: الثويني، محمد فهد (٢٠٠٥م) : "كيف أقنع أبنائي بالحوار الناجح؟".

٣/٢ – دراسة: عبد الجواد، محمد أحمد (٢٠٠٥م): "كيف تحاور أبناءك وتستمتع بهذا الحوار؟".

٤/٢– دراسة: إدريس، ميادة بنت محمود (٢٠٠٢م): "نمط علاقة الوالدين بالأبناء ومدى تأثيرها على المراهقين؛ دراسة تطبيقية على الأسرة السعودية في محافظة جدة".

٥/٢– دراسة: نذر، فاطمة (٢٠٠١م): "التنشئة الديمقراطية كما يدركها الوالدان والأبناء في الأسرة الكويتية: دراسة ميدانية".

٦/٢– دراسة: خلف الله، سلمان (١٩٩٨م): "الحوار وبناء شخصية الطفل".

٧/٢– دراسة: عبد القادر، سوزان مروان محمد (١٩٩٦م): "أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل دراسة مقارنة بين الأمهات العاملات وغير العاملات في مدينة جدة".

٨/٢– دراسة: تاتشر، جنيفر يورجسون (٢٠٠٦م): "كيف يتجاذب الآباء أطراف الحديث مع أبنائهم المراهقين في المناقشات الدينية [١]؟"

٩/٢– دراسة: جوشي، انوباما وجوتيريز، بيرثا(٢٠٠٤م): "الضغوط النفسية عند آباء المراهقين المنحدرين من أصل لاتيني (أمريكا الجنوبية)"[٢].

(1)-Thatcher, Jennifer Yorgason (2006):How parents and adolescent children "Talk the Talk " in Religious Conversations, Master Unpublished, Brigham Young University, Department of Marriage Family and Human Development.

(2)- Joshi, Anupama & J.Gutierrz, Bertha(2004) parenting Stress in parents of Hispanic Adolescents, North, American Journal of Psychologhy,8(2),pp209-216

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة مباحث ونتائج وتوصيات على النحو التالي:

المبحث الأول: المفاهيم الأساسية للبحث.

المطلب الأول: مفهوم الحوار.

المطلب الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي.

المبحث الثاني: حكم الحوار.

المطلب الأول: الحوار في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الحوار في السنة النبوية.

المبحث الثالث: طبيعة الفكر الإسلامي والحوار.

المطلب الأول: الفكر الإسلامي مع الآخر.

المطلب الثاني: الفكر الإسلامي مع الحوار.

المبحث الرابع: منهج الفكر الإسلامي في الحوار بين الراعي والمرعي.

المطلب الأول: أهمية الحوار بين الراعي والرعية.

المطلب الثاني: أدبيات الحوار بين الراعي والمرعي.

النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: المفاهيم الأساسية للبحث:

المطلب الأول: مفهوم الحوار:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: الحوار هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والتحاور هو التجاوب والمحاورة؛ أما المحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[1].

اصطلاحًا: للحوار في الاصطلاح أكثر من تعريف، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١. «أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكره قاصدًا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره»[2] .

٢. "محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به هدفها الوصول إلى الحقيقة أو أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر ، بعيدا عن الخصومة أو التعصب بطرق تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر"[3].

ومن كلا التعريفين السابقين يتضح أن: مبدأ الحوار يهدف إلى تحقيق السمو الأخلاقي الإسلامي في تقبل الآخر واحتمالية صواب رأيه، وقبل ذلك احترامه كإنسان له تكريم وتقدير.

المطلب الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي:

الفكر لغة: جاء عند ابن فارس: "فكَرَ: الفاء والكاف والراء: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر: إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا، رجل فِكِّيرٌ: كثير الفكر٤ . ومما جاء في المعاني اللغوية :

---

١ ابن منظور، **لسان العرب**، طبعة دار المعارف، القاهرة، ج ٢، ص ١٠٤٣ مادة حور. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص٣٨٠، ص٣٨١، مادة (حور).

(١) الهيتي، عبد الستار إبراهيم، **الحوار الذات والآخر**، ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٤م، المحرم١٤٢٥هـ، السنة الرابعة والعشرون، العدد:٩٩، ص ٤٠.

(٢) زمزمي، يحيى محمد، **الحوار وآدابه وضوابطه في الكتاب والسنة**، دار المعالي، ٢٠٠٢م، ص: ٥٦.

(٤) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عن دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م، مادة (فكر)، الجزء الرابع ص٤٤٦ .

إعمال الخاطر في الشيء.[١]

الفكر اصطلاحًا: عُرِّفَ الفكر بتعريفات كثيرة، منها الآتي:

- قوة مطرقة للعلم إلى معلوم وجولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب. [٢]

- اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلبًا أو روحًا أو ذهنًا بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام، أو النسب بين الأشياء[٣].

مفهوم الفكر الإسلامي عُرِّفَ الفكر الإسلامي بتعريفات كثيرة منها الآتي:

- "كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث الرسول-صلى الله عليه وسلم-إلى اليوم في المعارف الكونية المتصلة بالله -سبحانه وتعالى-، والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكًا"[٤].

- "كل نتاج للعقل البشري الموافق لمنهج الإسلام".[٥]

- "كل ما هو غير تجريبي من مقومات الحضارة الإسلامية سواء أكان تشريعًا أو علم كلام أو ما شابه ذلك"[٦] .

- "فقه الوحي وفهم رجال هذا الفكر له ثمّ شروحهم عليه"٧ .

ونستنتج من التعريفات المذكورة بأن التفكير تشغيل لأفضل نعمة أنعم الله بها على

(١) ابن منظور: لسان العرب مادة (فكر).

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (فكر)، ص ٨٣، ٦٤٣، بتحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، دار العلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت.

(٣) طه جابر العلواني: الأزمة الفكرية.. الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص٢٧.

(٤) محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامي، عن دار الصحوة ١٩٨٥م ص١٨.

(٥) محمد عبد الله عرفة: مقومات الفكر الإسلامي(إملاءات) لطلاب المستوى السادس قسم الشريعة، ص١ .

(٦) محمد عبد اللطيف صالح الفرفور: خصائص الفكر الإسلامي، ص٢٦، ن دار الأوزاعي، دمشق(بدون تاريخ).

(٧) المرجع السابق نفسه.

عباده وتميز بها عن غيره من المخلوقات.

إذن النزعة في التفكير الملتزمة بما جاء عن الله في كتابه وسنة رسوله لتفسير الوجود ونواميسه والالتزام برد تشريعات الحياة ونظمها إلى ميزان الوحي وهديه هو التفكير الإسلامي بعينه.

وبالتالي: لا يملك المنصف أن يتهم الإسلام بمعاداة الفكر أو تقييده وتحريمه طالما شجع على التفكر وأمر به، وجعله أمرًا لازمًا لا مجال لتجاهله، ولا إعفاء لأحد من مزاولته، بل دعا الإسلام للتفكير والنقد والتحليل والحوار، ونفر من التقليد الذي يعطل الملكات العقلية التي منحها الله للإنسان، ولولا تشجيع الإسلام على التفكير والحوار باستعمال العقل لما كان هنالك اجتهاد في الإسلام.

المبحث الثاني: حكم الحوار:

المطلب الأول: الحوار في القرآن الكريم:

الحكم المعتمد في هذا الشأن هو وجوب الأخذ بمبدأ الحوار في الحياة التعاملية بين الراعي والرعية، واستنباط هذا الحكم من القرآن الكريم نجد له آيات ومؤشرات لا حصر لها، منها على سبيل المثال مؤشر كلمة (قول)[1] وبعض تصريفاتها، حيث نجد تكرار "قال" ٥٢٩ مرة، و "يقولون" ٩٢ مرة، و"قل" ٣٣٢ مرة، و "قولوا" ١٣ مرة، و "قيل" ٤٩ مرة، و "القول" ٥٢ مرة، و "قولهم" ١٢ مرة . وهذه الأرقام مؤشر على مبدأ الحوارية عالية الترداد داخل النص القرآني بشكل لافت للنظر.

فالعنصر الذي نريد أن نقف عنده في هذا المؤشر هو هذا الاستحضار الثقيل للرأي الآخر، الذي يستغرق تقريبًا خمسين بالمائة من الخطاب القرآني، أي: إن هذا المؤشر الحواري نصفه من كلام الله والصالحين والأنبياء والملائكة والمؤمنين، والنصف الثاني هو للكفار والمشركين والملاحدة والزنادقة والبخلاء والمنهزمين والمغرضين، فالقرآن يقاسم الآخر حيزه بصدر رحب خمسين بالمائة مقابل خمسين للطرف الآخر.

إن كان من درس نقف عليه بعد هذا الإحصاء لمؤشر الحوار فهو أن القرآن الكريم يريد أن يعطينا درسًا في الانفتاح على الرأي الآخر، درسًا في قبول حق الرأي الآخر في الوجود

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وليس في خطئة أو صوابه؛ فالصوابية مجال تدافع فكري ومعرفي قائم على النزاهة أي على طلب الحق، وأول شروط النزاهة في المحاورة أن تترك الآخر لكي يقع تدافع موضوعي بين رأيك ورأيه.

بالجملة: عرض القرآن الكريم أنواعًا عديدة من صور الحوار، والتي منها: حوار الله مع خلقه بواسطة الرسل، كما ورد مع الملائكة ومع إبليس -لعنه الله- ومع الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام- رغم أنه يمتلك القوة ويكفيه أن يكون له الأمر وعليهم الطاعة، كما أنَّ دعوات الرسل -عليهم الصلاة والسلام- كلها كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم، وقد أطال القرآن في عرض كثير من إحداثيات هذه الحوارات بين الرسل وأقوامهم وأيضًا حوار سليمان -عليه السلام- مع الهدهد، والذي انتهى بإسلام ملكة سبأ ودولتها، أضف إلى ذلك حوار الملائكة مع بعض الأنبياء مثل نبي الله إبراهيم -عليه السلام-، ولوط -عليه السلام- وزكريا -عليه السلام- ومريم...، والأمثلة كثيرة جدًا في هذا الصدد في القرآن الكريم.

وهكذا يتضح أن الحوار بالنسبة لنا -نحن المسلمين- فريضة واجبة وضرورة شرعية، فنحن أصحاب دعوة ورسالة عالمية لا تخص جنسًا ولا لونًا ولا عرقًا ولا بلدًا معينًا، والخطاب القرآني يتوجه في الكثير من آياته إلى البشر جميعا مؤكدًا على التعايش والإخاء الإنساني مستهدفًا الخير والنماء للإنسانية كلها.

المطلب الثاني: الحوار في السنة النبوية:

من أجل تأكيد وجوب الأخذ بمنهج الحوار نجد الكثير من الحوارات وردت في هديه -صلى الله عليه وسلم-، والتي منها -على سبيل المثال لا الحصر- حوار الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع المشركين في مواطن كثيرة منها: صلح الحديبية، وحواره مع عتبة بن عامر، ومشركي قريش، وأيضًا مع اليهود، ومع المنافقين، ومع الأنصار، ومع الملوك والوفود ومع زوجاته وأصحابه، والأمثلة في السنة كثيرة جدًّا.

المبحث الثالث: طبيعة الفكر الإسلامي والحوار:

المطلب الأول: الفكر الإسلامي مع الآخر:

لم يكن الإنسان مكرها يومًا ما في أن يعتنق الإسلام، بل يصرح القرآن بوضوح فيقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة : ٢٥٦] لكن عندما يختار الإنسان دين الإسلام ديانة له فلا يجوز أن يستجدي حلولًا وأحكامًا في تنظيم حياته من خارج نطاق الدين الذي اعتنقه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومع ذلك نجد الفكر الإسلامي يعرض موضوعه عرضا مفتوحًا وليس مغلقًا على عنصرية معينة، فيه توجيهات قيمة جديرة بأن تهدي العالم أجمع إلى ما يسعدهم ويمتعهم؛ لأنه شيد معارفه على أساس من الذهن المنفتح والفهم الراشد المستنير في ثوب متكامل فيه استقرار القلب وتوقد العقل، فيه حصافة الفكر، وقوة الإيمان، وهكذا يأمر القرآن الكريم التفكير الإسلامي بأن يكون على هذا النحو المذكور، منفتحًا على الآخرين بأدلة كثيرة أبرزها تكرار النداء في القرآن الكريم بصيغة "يا أيها الناس"[1]، وصيغة "يا بني آدم"[2]، وصيغة "يا أيها الإنسان"[3]

ومن أجل تأكيد الانفتاح نادى الإسلام باستقلال الإرادة واستقلال الرأي، الأمر الذي نتج عنه تطور في الفكر الإنساني تشترك فيه الأجيال، يضيف إليه كل جيل شيئًا جديدًا، ولسنا هنا في مجال حصر إبداع الفكر الإسلامي فهذا المجال يطول فيه الحصر لكننا نود أن نشير إلى بعض ما قدمه في تلك المجالات، فقد قدم الاجتهاد وأثره العظيم في مجالات مختلفة، منها توجيه الفكر الإسلامي في مجال الحوار بين الراعي والمرعي؛ لأجل تحقيق مصالح أفضل للمجتمع والإنسانية.

إن الفكر الإسلامي ينادي بضرورة استقلال الفكر والسلوك وفق ضوابط منفعية عامة؛

(١) تكررت بالقرآن الكريم ٢٠ مرة.
(٢) تكررت في القرآن ٥ مرات.
(٣) تكررت بالقرآن الكريم مرتين.

بحيث لا يسلم المرعي نفسه لمدير أو قيادة إلا للحق، فالحق وحده يجب أن يكون هو الوجهة وهو القائد معًا، وهذه القيادة هي التي يجب أن تنطوي تحتها كل ألوية المؤمنين، مع التأكيد أن الفكر الإسلامي لا يحارب القيادة لذاتها بل يجعلها عنصرًا أساسيًا أصليًّا في تنظيمه الاجتماعي، كما هو واضح في توجيه الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (إذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم واحدًا منكم)[1]، وإنما يضع توجيهات يمنع انحرافها.

ومن روائع النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذه القضية ونعني قضية كيان الفرد، واستقلال فكره، قوله: (لا يكن أحدكم إمعة، يقول أنا مع الناس، إذا أحسن الناس أحسنت وإذا أساؤوا أسأت، بل وطنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا وإذا أساؤوا أن تجتنبوا اساءتهم)[2]، وبذلك ندرك انفتاح الفكر الإسلامي مع الآخر دون تضييع أو التقليل من إظهار هويته.

المطلب الثاني: الفكر الإسلامي مع الحوار:

كان الفكر الإسلام ولا يزال يبحث عن الحق ويسعى إليه، يتخذ أسلوب الحوار وسيلة للرشد ورأب الصدع، ورفع شأن العلم بطريقة لا تخلو من التحقير لكل جهالة.

لا شك أن الحوار في عالمنا المعاصر أضحى ضرورة مهمة للتواصل البشري والتعاون الإنساني، ولتحقيق السلام والأمن والتقدم الحضاري، ولهذا دعا الفكر الإسلامي إلى الحوار، وحث على مد الجسور مع كافة الخلق، لتحقيق عالمية الفكر الإسلامي في مختلف الميادين الثقافية والعلمية ورسم لهذا الحوار معالم تقوم على الحكمة، بالود وبالرفق وكفالة الحرية التي تسمح بالاختلاف دون عداء ودون مشاحنة أو كراهية، لذا يكتسب الحوار في الفكر الإسلامي وفي التراث الإسلامي معنى يدل على قيم ومبادئ

(١) تخرجه: رواه البزار في مسنده (٣٢٩) ورواه أبو داود (٢٧٠٨)

(٢) تخريجه: هذا الحديث روي من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا) رواه الترمذي (٢٠٠٧) بإسناد ضعيف، وقد ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي" غير أنه صححه من قول عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– ولا شك أن المعنى الذي تضمنه الحديث صحيح، فالذي ينبغي للمؤمن أن يحسن اعتقاداته وأقواله وأعماله، سواء أحسن الناس أم أساؤوا.

تمثل جزءًا أساسيًا في الثقافة والحضارة الإسلامية.

هذا فضلا عن أن الدعوة إلى الحوار والالتقاء بالآخر ومجادلته بالتي هي أحسن، هي دعوة قرآنية وتكليف شرعي قائم قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

ومن هنا فقد دعا الإسلام منذ نشأته إلى الحوار والتعايش بين كافة الخلق، كبيرًا كان أم صغيرًا، عربيًا كان أم أعجميًا، زعيمًا كان أم رب أسرة، فكل من ولي غيره لزمه تطبيق مبدأ الحوار.

وفي العموم نؤكد: أن منزلة الحوار في الفكر الإسلامي يمكن اعتبارها الوسيلة أو السبيل للوصول إلى الحقيقة وكل ما يعتري الحياة، والوسيلة لا تنفصل عن الغاية؛ من حيث إنهما يكملان أمرًا واحدًا، أو ينتهيان إلى النتيجة المستهدفة، والنتيجة عبر هذا البحث هي أن ينظر الراعي والمرعي إلى أن كلًا منهما يكمل بعضهما البعض من أجل المصلحة العامة للجميع؛ حيث يتعاون المتحاورون على معرفة الحقيقة والتوصل إليها؛ ليكشف كل طرف منهم ما خفي على صاحبه منها، والسير بطريق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، والأصوب والأفضل من الآراء.

المبحث الرابع: منهج الفكر الإسلامي في الحوار بين الراعي والمرعي:

المطلب الأول: أهمية الحوار بين الراعي والمرعي:

تظهر أهمية الحوار بين الراعي والمرعي في الاستنتاجات الآتية:

١ – الحوار ركيزة أساسية في الدعوة إلى الله تعالى: «فالدعوة في الأساس حوار، والقرآن الكريم كتاب حوار بين الحق والباطل، بين أهل الإيمان وأهل الضلال، بين الكلمة الصادقة النافعة والكلمة الخبيثة المنحرفة. وقد سرد لنا الكتاب الكريم في العديد من آياته كيف تم الحوار بين الأنبياء وأقوامهم، وهي في الأساس دعوة إلى الحق وإلى الطريق القويم».[1]

(١) العليان، حوار الحضارات، ص٢٢٣.

٢- بالحوار نستطيع أن نقيم رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان، وكلها تسير في اتجاه تحقيق الغاية من وجودنا، حيث كرم الله الإنسان بالعقل وأعلى من شأنه بقيمة التفكير، والقرآن الكريم يحث في آيات كثيرة على ضرورة ممارسة العقل لوظيفته التي خلق من أجلها، وهي التفكير والتأمل في الكون كله[١].

٣- الحوار ضروري لاكتساب العلم وتلقي المعرفة: فالحوار كفيل بأن يجعل الفكر ينبض بالحياة والحركة والتجدد من خلال تواصل عقلين أو مجموعة عقول لإدراك المعلومة أو تمحيصها أو تفهم معانيها[٢]، كمثل حوار سيدنا موسى مع الخضر -عليهما السلام- في سورة الكهف.

٤- الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، وقضاء إلهي أزلي مرتبط بالابتلاء والتكليف الذي تقوم عليه خلافة الإنسان في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، وآلية تعامل الإنسان مع هذه القضية هي الحوار الذي يتم من خلاله توظيف الاختلاف وترشيده بحيث يقود أطرافه إلى فريضة التعارف، ويجّنبهم مخاطر جريمة الشقاق والتفرق، وبدون الحوار تدخل ساحتنا في أقوى النزاعات ودهاليز الفرقة والتفتت، ثم إن القمع والقهر لا ينهي فرقة وتجزئة وإنما يزيدها تأججا واشتعالًا، فالبديل المتوفر عن الحوار هو الحروب الأهلية وعمليات الإقصاء والتهميش والتمييز والتعصب الأعمى، ولنا في الدول التي ابتليت بالحروب الأهلية خير مثال فالأزمة استفحلت في هذه الدول حينما أغلق باب الحوار وغيبت قيم التسامح والتعددية والمشاركة وحقوق الإنسان[٣].

٥- الأمة الإسلامية تعيش اليوم أزمة غياب حوار حقيقي، أزمة علاقة بين الراعي والمرعي، على مستوى الأنظمة والمؤسسات وتنزل إلى الأسرة فيما بين الزوج والزوجة وما بين الزوجين والأولاد لغياب الحوار؛ فالحوار رئيسي وضروري وممر استراتيجي لحل هذه الأزمة،

(٢) زقزوق، محمود حمدى، مقدمة في الفكر الفلسفي، ط١٩٩٧،ص ٩٤.

(٣) الهيتي، الحوار، ص٤١.

(١) العليان، حوار الحضارات، ص١٩٣، نقلًا عن كتاب الأمة والدولة من القطيعة إلى المصالحة لبناء المستقبل محمد محفوظ، ص١١.

أزمة الاختلاف والصدام السلبي التي نعيشها اليوم، فبالحوار تتضح العديد من المبهمات وينفك الاحتقان ويزيل الاشكاليات، فتزول الجفوة بين المتحاورين؛ لذا يعد الحوار من أعظم الموجبات في هذا العصر؛ لأنه لا يبقى لمتشكك حجة[1]، وأتصور أن كثيرًا من المشاكل والصدامات الدامية التي تدفع البشرية ثمنها، كان ممكنًا أن تتجنب أصلًا أو يخفف أثرها أو تقل سلبياتها لو تم اللجوء إلى الحوار.

٦- الحوار أداة للتفاهم مع الآخرين: ذلك أن الحوار يهدف إلى شرح وجهة نظر المعطيات وتبيانها، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الآخر، لفهم وجهة نظره ثم للتفاهم معه، ذلك أن التفاهم لا يكون من دون فهم متبادل، والحوار هو الطريق إلى استيعاب المعطيات والوقائع المكونة لمواقف الطرفين المتحاورين ثم إلى تفاهمهما[2] .

٧- قضية الحوار تساعد البشرية للوصول إلى بر الطمأنينة والإنتاج؛ فعندما يمارس الحوار بين كل رئيس عمل وعماله سيؤدي لا محالة إلى التفاهم المتبادل بينهم ولا شك في أن ذلك يضاعف الإنتاج، بينما إذا غاب الحوار ضعف الإنتاج بعد أن قل الولاء الوظيفي وقد يؤدي الأمر إلى استعمال العنف والتطرف والتخريب، ولنا في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد خير مثال.

المطلب الثاني: أدبيات الحوار بين الراعي والمرعي:

كون الحوار بين الراعي والرعية مبدأ خلقي يفرضه الشرع، ويحتاجه الواقع، فإن الفكر الإسلامي رسم للحوار أدبيات كثيره لتطبيقه كي يضمن نجاحه وتأثيره، وتنقسم هذه الأدبيات إلى قسمين: أدبيات ما قبل الحوار، وأدبيات ما بعد الحوار، وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولًا: أدبيات ما قبل الحوار:

لكل حوار يراد له النجاح ينبغي أن ينطلق من مبدأ يومئ إلى هدف ثابت: هو البحث

(٢) العليان، عبدالله علي، مجلة التسامح، العدد السادس، ربيع ٢٠٠٤م، بعنوان الحوار وثمراته الايجابية في الرؤية الإسلامية باختصار وتصرف كبيرين.

(٣) السماك، محمد، ثقافة الحوار في الإسلام، حرية الاختيار وحق الاختلاف، بحث في الإنترنت، بتاريخ: ٢٠١٥/١٢/١٠م.

http://www.bintjbeil.com/articles/ar/021117_assamak.html

عن الحقيقة، والحقيقة الأفضل، باعتبار أن إيمان الشخص بصواب رأيه لا يعني أن رأي الطرف الآخر غير صواب؛ ومتى ما تحقق هذا المنهج وتلك الرغبة أمكن القول إن ميدان الحوار واسع فسيح.

ولكي ينجح الحوار ويؤتي ثماره ينبغي أن تتحقق فيه –من وجهة نظري– مجموعة أدبيات نستنبطها من القرآن الكريم ومن الفكر الإسلامي، وهي:

١–الابتعاد عن شخصنة القضية محل الحوار:

لا نشخص القضية التي نتحاور عليها، أي: عدم إلباس الذات في الموضوع وعدم استبدال القضية بذات الشخص وتحويل الصراع إلى صراع ذاتي أو شخصي. وهذا هو منهج القرآن الكريم الذي يستعمل الاسم الموصول "الذي" لكي يجرد الموقف من الشخص، والحدث من الفاعل، فأول ما يدل على فشل الحوار عندما تشير بأصبعك إلى المحاور وتلصق به الموقف وتبدأ بالاتهام فلا يجد مندوحة من الدفاع عن نفسه، والقرآن يعطيك ضمانة كي لا يفشل حوارك، ومن ثم يتحقق النجاح المراد منه، كما نجح حوار القرآن، وبهذا يجنّبنا القرآن الكريم باستعماله الاسم الموصول أن نشخصن القضية، ونقوّض فرصة التفاهم فنفشل في تحقيق هدف الحوار، ويعلمنا الانفتاح من الجهة الأخرى على الشخص ذاتًا قابلةً للانضمام بعد أن نفصلها عن الموقف، وهكذا لا نجد في القرآن الكريم الإشارة إلى الأشخاص إلا استثناءً.

٢–اجتناب التخويف:

الواقع المعاش في الكثير من التجمعات البشرية المعاصرة لا يحقق شروط إنجاح الحوار بين الراعي والمرعي ومقوماته، لوجود خوف من طرف المرعي –غالبا ما– يقود إلى خضوع متزايد أثناء الحوار وانكماش لقدرة المرعي الفكرية فتختفي ملكة الحوار من الحلبة؛ لذا ينبغي على الراعي أن يكون رفيقًا بالمرعي الذي يحاوره رحيما به مستعدًا للحوار معه متجاوزًا عما يصدر منه من هفوات، عسى أن تكون لديه فكره أو طريقة أفضل عما هو متبع.

أعرابي من جفاة الأعراب سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– بغلظة: اعدل يا محمد، فهذا المال ليس مالك ولا مال أبيك، ما الذي حمل هذا الأعرابي على أن يسأل النبي الكريم بهذه الغلظة؟

ليقينه أن العدل شريعته، وأنه لا يظلم، وأن الراعي رحيم لا تخافه رعيته، لذلك النبي – عليه الصلاة والسلام– في طمأنينة ما بعدها طمأنينة، وفي حلم ما بعده حلم، قال: ويحك يا هذا!! من يعدل إن لم أعدل؟

٣– لا قداسة لحرفية القانون مع ظهور المصلحة:

من الشواهد المعاصرة لجوء الراعي إلى الاستشهاد بنصوص القانون –مع أنه لم يصبح رئيسًا بناءً على نصوص وإنما من سلطة عليا– لتأييد وجهة نظره الخاصة، مع ظهور المصلحة الأفضل في مخالفة القانون، والمصلحة العامة تدعو إلى التعامل مع روح القانون وليس مع حرفيته؛ حيث قد تؤدي الحرفية في بعض الأحيان إلى خسارة ومفسدة لأحد الأطراف أو كليهما، وقد وجد القانون في الأساس لدفع المفسدة وجلب المنفعة.

وإذا اعتبرنا أن النص القانوني هو المرجع أو غير القابل للمناقشة العقلية، وأنه هو الذي يمثل حقيقة مطلقة تتجاوز المنطق والعقل، يعتبر هذا تسليمًا ينطوي ضمنًا على اعتراف بأن العقل النقدي قد توقف عن ممارسة عمله.

ولنا في الفكر الإسلامي شواهد كثيرة في التنازل عن حرفية القانون مع ظهور المصلحة، كما حدث في صلح الحديبية من تنازل سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– من كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" إلى كتابة "باسمك اللهم" وكذلك في كتابة اسمه كنبي.

٣– حرية الرأي والمشورة:

إن من أهم أغراض الحوار بين الراعي والمرعي الإرشاد وطلب الرأي وليس للتعالي أو الخلاف؛ فالحوار الصادق المخلص لابد أن يعبر عن رأي يصل من خلاله إلى نتيجة؛ والفكر الإسلامي يلفت نظر ولاة الأمر بأنه لا ينبغي لولي الأمر مهما بلغ من سداد الرأي أو النفوذ أن يستبد برأيه وحكمه؛ لأن الفكر الإسلامي يرى أن حرية الرأي يجب أن تكون مكفولة للجميع خاصة في واقعنا المعاصر على وجه الخصوص، وبالحوار ننتهي إلى التعاون المتفق عليه، وتحقيق مصلحة العامة قبل الخاصة.

فالله –سبحانه– يأمر النبي أن يشاور أصحابه، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران ١٥٩] مَن هو النبي؟ سيد الخلق، وحبيب

الحق، أوتي الفطنة، سيد ولد آدم، يوحى إليه، معصوم، ومع كل هذه الخصائص، ومع كل هذه الميزات، ومع عصمته، ومع رجاحة عقله، ومع أن الوحي يُصَبُّ على صدره، ومع كل ذلك أمر الله النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يشاور أصحابه.

فما الذي يعنينا مِن هذا؟ ما الحكمة التي وراء المشاورة؟ في كلام الله –عز وجل– حِكَمُهُ التي لا تعدُّ ولا تحصى، لماذا أمر الله النبي أن يشاور أصحابه؟ قال: أولًا لأن في مشاورة أصحابه تطيبًا لنفوسهم، أي: إنك حينما تأمر، وعلى الطرف الآخر أن ينفذ، يشعر أنه أداةٌ بيدك، أما حينما تشاوره فتُشْعِرُه أنه شريكك، وهذا من الأساليب التربوية، كان – عليه الصلاة والسلام– يستشير أصحابه في الغزوات، معنى ذلك أن الصحابة الكرام حينما يشيرون عليه أن يخرج للقاء العدو، ويخرجون معه، لا يشعرون أنهم أدوات، بل هم شركاء.

ولما أرسل أبو بكر الصديق –رضي الله عنه –خالد بن الوليد إلى اليمامة، قال له: واستشر من معك من كبار الصحابة وكن مع جندك كأنك واحد منهم[١].

٥–اجتناب التعصب لفكرة مسبقة:

على كل من الطرفين المشاركين بالمحاورة أن يتخلى عن التعصب لوجهة نظر مسبقة وعن التمسك بفكرة يرفض نقضها أو مخالفتها؛ لأن التمسك بوجهة النظر السابقة يتباين مع منهجية الحوار في تبادل الأفكار وتداول الأطروحات وسماع الرأي الآخر، ذلك أن طبيعة الحوار تقتضي الإعلان من الطرفين عن الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة والأخذ بها عند ظهورها، سواء أكانت وجهة نظر سابقة، أم وجهة نظر الطرف الآخر الذي يحاوره، وقد أكد القرآن الكريم على هذا المفهوم بصراحة واضحة، وذلك حين وجه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأن يقول للمشركين في محاورته لهم: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]' وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب لفكرة مسبقة، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة: أنّى كانت؟ ومن أين صدرت؟[٢].

http://mazinmotabagani.blogspot.com/2012/12/blog-post_5368.html (1)

(١) الهيتي، **الحوار**، ص ٥٣ – ص٤٥.

٦-المساواة بين طرفي الحوار:

ويراد به: المحافظة على حق الطرف الآخر وإنصافه من كل وجه، بقطع النظر عن صفته أو مركزه العلمي والاجتماعي، لئلا تنقلب المحاورة إلى مكابرة[١]، والمتتبع للحوارات القرآنية يتلمس فيها المساواة بين طرفي الحوار، فعلى الرغم من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- على حق، وأن مناظريه على باطل، إلا أن الله تعالى يوجهه إلى افتراض أنه لا يعلم أيهما على هدى، وأيهما في ضلال، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥]، وفي موطن آخر يصرح القرآن الكريم بالمساواة لطرفي الحوار، حتى ولو كان ذلك بين فريقين مختلفين في الفكر والعقيدة، كما في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فهذه الآية تقدم دعوة لأن يكون طرفا الحوار على درجة واحدة من المساواة لا يتميز أحدهما عن الآخر وذلك في قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ مما يؤكد إنصاف المحاور والمحافظة على حقه[٢].

٧-اجتناب الحديث غير اللائق:

من آداب الحديث ألاّ يتجاوز المتكلم في مدح ولا يسرف في ذم؛ لذا على المحاور ألاّ يبالغ في الذم فهو طريق الشر والرذيلة، ولا يسرف في المديح والثناء، لأن المبالغة فيه ملق ومهانة، وإن أقبح الصفات أن يتنزل العلماء في حوارهم إلى جارح اللفظ وسيّئ العبارة، فقد قيل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة»[٣]، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».[٤]

---

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٠.

(٣) الهيتي، **الحوار**، ص ٦٢.

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم (٢٥٩٩)، ج ١٦، ص ١١٥، مطبوع مع شرح صحيح مسلم للنووي.

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، حديث رقم =

فعلى المتحاورين أن يرجعوا إلى آداب الإسلام في الحوار بدل أن يُنصّب بعض الناس أنفسهم أوصياء على الأمة وعقولها، فيتهمون هذا ويفسّقون ذاك، ويشيعون الخوف من المشاركة في الفكر وإبداء الرأي، حتى توقف بعض العلماء عن الخوض في كثير مما يحتاج إليه الناس من اجتهاد، وأقفلت بسبب ذلك أبواب الحوار بالتي هي أحسن لتفتح بدلًا عنها أبواب الصراع والشغب».[١]

٨-الاستعداد لقبول الحق:

من أصول الحوار أن يوطن المحاور نفسه على الرضا والاقتناع والتسليم للحق الذي ظهر في الحوار على لسان الآخر، وعليه أن يستيقن أن الآراء والأفكار ليست ملكًا لأحد أو جنس أو طائفة، والصواب ليس حكرًا على أحد بعينه، وإن من الخطأ البيّن أن يظن أحد أن الحق لا يغار عليه إلا هو، ولا يحبه إلا هو، ولا يدافع عنه إلا هو، ولا يخلص له إلا هو[٢] .

هذا، والتعصب للرأي مع وجود الحجة والبرهان ينشئ العصبية المقيتة والاعتقاد الخاطئ بامتلاك الحقيقة، لذلك توجهت الخطابات الشرعية ضد هذا المفهوم السلبي واعتبرته متجاوزًا للحق والعدل، وقد ورد في القرآن الكريم ذمّ العصبية ووصفها بالمقيتة كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]، وقوله تعالى على لسان فرعون: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، إلى غير ذلك من الآيات التي تنهى عن العصبية[٣]، وإذا لم تتحقق مثل هذه السلوكيات بين الراعي والمرعي في سير العمل أو قيادة الأسرة أو الأمة فإن النتيجة الحتمية تميل نحو السلبية. وتزداد في السلبية حتى تحدث المواجهة وقد يسبق المواجهة تعطيل مصالح المجتمع.

=

(٧٠٧٦)، ج ١٤، ص ٥٢٠.

(٣) الهيتي، **الحوار**، ص ٨١-٨٢، ص ٨٤.

(٤) العليان، **حوار الحضارات**، ص ١٠٧، نقلًا عن أصول الحوار وآدابه لصالح بن حميد، ص ٣.

(٥) العليان، **حوار الحضارات**، ص ١٠٨ نقلًا عن نحن والآخر لمصطفى السادة، ص ٨.

ثانيًا: أدبيات ما بعد الحوار:

مرجعية التحقق من نجاح الحوار هو الوصول إلى الحقيقة وقطف ثمرتها من خلال تحقق أفضل المنافع الإنسانية بأقل تكلفة؛ حيث إن الفكر الإسلامي ينادي بالحوار حرصًا على التشبث بالحق، ولا يُعفى مسلم من طرح الرأي إلى ما هو أصوب منه، إلا إذا نفذت كل وسائل الإقناع وتحقق فيه العجز الواضح، عند ذلك يفرض الفكر الإسلامي مجموعة من الأدبيات الاجرائية البديلة مثل:

١- البحث عن وسائل إبداعية لإبراز أصوب الآراء:

يفرض العقل والمنطق على المسلم أن يبحث عن وسائل إبداعية وحكيمة لإبراز الأصوب بطرق جذابة، أما إذا غاب الحق والصواب وتركه أصحابه فسيخسر الجميع، وتعد هذه الآية دافعًا قويًّا لرفض الخطأ والمناداة بتصحيح الخطأ أو طرح الأفضل بالأسلوب الحسن: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥].

٢- استبدال المكان أو المجموعة أو المؤسسة:

وهذا المعنى شديد الوضوح في أساسيات الفكر الإسلامي، وقد عرض لنا القرآن الكريم أوضح الأساليب وأشدها تأثيرًا في النفوس بين الملائكة والذين أدركهم الموت وهم مقيمون على الباطل خوفًا من جبروت الأقوياء والطغاة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء: ٩٧].

وأدنى صور التصحيح الرحيل إلى مكان آخر من أرض الله الواسعة، أو الانتقال إلى مؤسسة أخرى، فإظهار الحق في الإسلام ليس مجرد فضيلة أو حسنة وإنما هو واجب أساس يقوم عليه الدين. ويكفي وضوحًا في ذلك أن النهي عن المنكر واجب أساس على كل مسلم، كما هو معروف. والتمسك بالحق وإعلانه واجب ديني واجتماعي، ومن مزايا الحوار المحافظة على كيان الحق وإبرازه لينضم إليه الراغبون فيه ويهتدوا به، بخلاف ما لو سكت أصحاب الحق حينئذ، فإن الحق سيختفي ولا يبقى إلا كيان الباطل متمثلًا في الطغيان وهذا

بطبيعة الحال يتنافى مع الفكر الإسلامي والحوار الذي نهدف إليه عبر بحثنا هذا.

٣- نقد الذات وتجنب الإساءة للآخر:

وإذا ما رفض المحاور الحجج العقلية بأن لم يقتنع بها أو تمادى في تعصبه ولم يخضع للحق؛ فإنه بهذا يمارس حقًّا أصيلًا كفله له -سبحانه وتعالى-، وسيكون مسؤولًا عن ذلك أمام الله تعالى، وهنا ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ أو دون حاجة إلى التوتر والانفعال، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]' ولا حاجة إلى أن يتابع الخصم على ما بدر منه من إساءات أثناء الحوار، وليكن العفو والصبر أساسًا وخلقًا في التعامل مع الآخرين،[١] قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وعندما نصل إلى باب مسدود في الحوار لا يجيز الفكر الإسلامي العنف واستعمال البطش وتعطيل المصالح وتخريبها، وإنما على دعاة الحق الرجوع إلى أنفسهم ومحاسبتها، ومحاولة البحث عن مخرج : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

إذا لم ينجح الحوار في إظهار الحق بعد الجهد في اختيار الأساليب الحضارية الراقية، ينبغي أن يتهم أصحاب الحق أنفسهم بأن هناك خللًا في دواخلهم، يجب البحث عنه بجد، مصداقًا لمقولة سيدنا عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- حيث قال: يحدث للناس من البلاء على مقدار ما يُحدثون من الفجور[٢].

فإذا نجح دعاة الحوار في الاصطلاح الداخلي مع الله -عز وجل-، لا شك في أنهم يستطيعون إظهار الحقيقة والعمل بها بعد الحوار، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال أيضًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

(١) القضاة، محمد، **أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي** "دراسة لم تنشر".

(٢) http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=5506

٤- التحلي بالصبر والتقوى:

إن مشكلات العالم الإسلامي اليوم على عظمها، وعلى كثرتها، وعلى تنوعها، وعلى تصور أنها ثابتة ليس بالإمكان أن تزال، ابتداء من الأسرة وانتهاء بالتكتلات الدولية، سنجد لها حلًا بسيطًا بالفكر الإسلامي عندما نستوعب ونطبق قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قيل: إن النصر الخاص يسبق النصر العام، حينما ينتصر الإنسان على نفسه يسهم في النصر العام؛ لأن المهزوم أمام نفسه لا يستطيع أن يواجه أصغر مشكلة، لذلك وجه الله عز وجل الأمة الإسلامية إلى أمرين هما: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ الصبر والتقوى، يعني: احتمال المشاق، ومتابعة صارمة في تأدية التكاليف الربانية، مهما تكن الظروف قاسية.

المفهوم العام للصبر والتقوى هنا تهذيب الذات، وتحسينها، وتدعيمها، والرقي بها، وهذا التدعيم يأخذ أشكالًا كثيرة، منها المزيد من الالتزام الصارم بالعبادات الخالصة لله، ومقاومة الشهوات، والتعاون، والمواساة، والتضحية، والإيثار، وجوامع السلوك الحسن.

إذًا يكمن الحل لمشكلاتنا في هذه الآية: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ حيث تخاطب هذه الآية الأفراد والمجتمعات، فنحن -المسلمين- إن نتصبر ونتقي فلنا عند الله مكافأة، والأمة حينما تصبر وتتقي تنتصر، هذا الدين العظيم صالح لأن يكون دينًا فرديًا ودينًا جماعيًا في وقت واحد، **إن طبقه الفرد قطف ثماره، وإن طبقته الأمة قطفت ثماره.**

نتائج البحث:

يمكن استنتاج الكثير من النتائج منها ما يأتي:

١- الحوار مبدأ وقاعدة في الدين الإسلامي.

٢- الحوار سلوك حضاري أخلاقي، وديننا في جوهره أخلاقي.

٣- الفكر الإسلامي رسم أدبيات إجرائية لنجاح الحوار.

٤- الفكر الإسلامي لا يسمح بالإساءة إلى الآخر حتى لو فشل الحوار، فقد وضع حلولًا أخرى بديلة.

٥- إذا نجح الحوار في محيط الأسرة فإنه مهيئ للنجاح فيما هو أعلى من تجمع الأسرة.

٦- إذا اصطلح الإنسان مع ربه ومع ذاته، فإنه سيصطلح بسهولة مع من حوله.

توصيات:

وكنتيجة لهذا البحث نرى ضرورة العمل بالتوصيات والاطروحات التي قدمتها ينابيع الفكر الإسلامي المأخوذة أصلا من الكتاب والسنة، ولكي نضمن المزيد من النجاحات نقترح إضافة التوصيات الآتية:

١. تنفيذ أنشطة تعمل على إيجاد ألفة بين الراعي والمرعي، ومحاولة كسب القلوب لاداء الواجبات بصورة تنطلق من الرابطة الاجتماعية بين الراعي والمرعي.

٢. على الراعي أن يلجأ إلى إثارة عقول المرعيين ودفعها إلى التفكير في أمور واجباتها وبإلقاء التحفيز بأسلوب المودة والاخاء ومراعات المشاعر والأحاسيس الإنسانية.

٣. على المرعيين ابراز رأيهم بكل أدب عند معاودة التفكير والتقدير للموقف، مع الاعتقاد باحتمالية خطأهم.

٤. النظر إلى القوانين على أنها وسيلة لتحقيق منفعة وليست غاية في حد ذاتها وبالتالي يتحرر الفرد ويتحمل مسؤولية تصرفاته مما يؤدي إلى تحرير امكاناته ومواهبه.

٥. تخصيص أوقات في الأسرة أو المؤسسة للحوار أحيانًا بشكل جماعي مع المرعيين، وأحيانا بشكل فردي بين الراعي وأفراد رعيته.

المراجع

القرآن الكريم

١. ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف.

٢. إدريس، ميادة بنت محمود: "نمط علاقة الوالدين بالأبناء ومدى تأثيرها على المراهقين دراسة تطبيقية على الأسرة السعودية في محافظة جدة "، طبعة ٢٠٠٢م.

٣. الثويني، محمد فهد: "كيف أقنع أبنائي بالحوار الناجح؟"، دار اقرأ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٤. خلف الله، سلمان: "الحوار وبناء شخصية الطفل"، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٨م.

٥. خوجة، محمد شمس الدين: "الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه"، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط٢، الرياض، ٢٠٠٨م.

٦. زقزوق، محمود حمدي، مقدمة في الفكر الفلسفي – ط ١٩٩٧م.

٧. زمزمي، يحيى محمد، الحوار وآدابه وضوابطه في الكتاب والسنة، دار المعالي، ط ٢٠٠٢م.

٨. السماك، محمد، ثقافة الحوار في الإسلام، حرية الاختيار وحق الاختلاف.

٩. صحيح البخاري.

١٠. صحيح مسلم.

١١. عابد، سناء محمود "الحوار في القرآن معالمه وأهدافه"، دار الأندلس الخضراء، ط ٢٠٠٤م.

١٢. عبد الجواد، محمد أحمد: "كيف تحاور أبناءك وتستمتع بهذا الحوار"، دار الأندلس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

١٣. عبد القادر، سوزان مروان محمد: "أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل دراسة مقارنة بين الأمهات العاملات وغير العاملات في مدينة جدة"، طبعة ١٩٩٦م.

١٤. العليان، عبد الله علي، حوار الحضارات.

١٥. العليان، عبد الله علي، مجلة التسامح، العدد السادس، ربيع ٢٠٠٤م، بعنوان الحوار وثمراته الايجابية في الرؤية الاسلامية.

١٦. القضاة، محمد، أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي.

١٧. القطب، سمير عبد الحميد، "فلسفة الحوار وتكوين المعلم العربي في مجتمع ما بعد العولمة"، المؤتمر السنوي الثامن، كلية التربية جامعة حلوان، ٢٠٠٠م.

١٨. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية.

١٩. مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني (١٤٢٥هـ) "ثقافة الحوار في المجتمع السعودي؛ رؤية أعضاء هيئة التدريس في جامعات المملكة العربية السعودية".

٢٠. المغامسي، خالد محمد "الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية"، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط٢، الرياض، ٢٠٠٥م.

٢١. نذر، فاطمة (٢٠٠١م): "التنشئة الديمقراطية كما يدركها الوالدان والأبناء في الأسرة الكويتية: دراسة ميدانية.

٢٢. النعيمي، عائشة سعيد الضبع (٢٠٠٥م): "دراسة ميدانية حول أثر الحوار بين الآباء والأبناء في تشكيل الشخصية الإيجابية دراسة مطبقة على الطلاب المواطنين بمنطقة (أبوظبي) التعليمية".

٢٣. الهيتي، عبدالستار إبراهيم، الحوار الذات والآخر، ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٤م، المحرم١٤٢٥هـ، السنة الرابعة والعشرون، العدد: ٩٩.

24. http://www.alwasatparty.com/article-9588.html

25. Joshi, Anupama & J.Gutierrz, Bertha(2004) parenting Stress in parents of Hispanic Adolescents, North, American Journal of Psychologhy,8(2),pp209-216

26. Mannion,Greg(2007):Going Spatial, Going Relational: Why " listening to children " and children's Participation needs reframing , studies in the cultural politics of , 28(3), September,pp405 - 420.S

27. Mcleod, Alison (2007): Whose agenda? Issues of power and relationship when listening to looked - after Young people, child and family social work, (12),pp278 - 286

28. Thatcher, Jennifer Yorgason (2006):How parents and adolescent children "Talk the Talk " in Religious Conversations, Master Unpublished, Brigham Young University, Department of Marriage Family and Human Development.

29. http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=5506

30. http://mazinmotabagani.blogspot.com/2012/12/blog-post_5368.html